لعل القرنين السادس والسابع الهجريين حملا الكثير من ملامح القرون السابقة التي شهدت انفصالا حقيقيا بين الأوضاع السياسية وبين ازدهار المدنية الإسلامية. ففي الوقت الذي نرى فيه الصراع السياسي وتفكك الدولة العظمي إلى إمارات ومناطق نفوذ، وعلماء وأدباء في شتى نواحي المعرفة. فقد اختصا بمعاصرة الرياح العاتية التي ضربت شجرة الحضارة، وذلك من البدايات الأولى للإهتزاز حتى الهجمة العنيفة التي أطاحت بكثير من أجزاء كيان تلك الشجرة. وعليه فمن كان ابن ذاك العصر سيحرص بالتأكيد على المشاركة قدر طاقته في المحافظة على ما لدى بيئته وزمانه، ورد الأمور إلى أصولها، أما من ناحية المدنية الإسلامية فقد تابعت وقتئذ مسيرتها وازدهرت ثقافتها رغم كل الظروف الصعبة من حروب داخلية مدمرة ومن تعدد المذاهب الكلامية والفلسفية وكثرة الفرق والمذاهب. وقد قام السلاجقة بدور هام في إيجاد مكان ثابت للإزدهار بعد أن قضوا نوعا ما على الإهتزاز السياسي الذي كاد أن يدمر الحضارة وأعادوا للخلافة العباسية بعض مظهرها، مع احتفاظهم بالسيطرة الفعلية لأنفسهم، والمضمون الثقافي لهذا الإستقرار النسبي كان في جهد السلاجقة بإنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية والمعاهد الدينية، والذي يمكن اعتباره العمل الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي. وقد كانت المدرسة النظامية في نيسابور وبغداد أنموذجا لتخريج العلماء وللنشر الثقافي والفكر المتطور. والذين تفوقوا على السلاجقة في رعاية العلم والثقافة بإنشاء المدارس المتعددة التخصصات والتي فتحت أبوابها لكل راغب في التعلم. كما وان كثرة عدد المدارس كان صورة واضحة المعالم عن عمق الثقافة وأثرها في المجتمع المسلم. .. فالوضع الداخلي كان قد وقع في تمزق عنيف نتيجة صراع السلاجقة المتأخرين وبالذات أبناء السلطان السلجوقي ملكشا كاد يدمر ما رممه أوائلهم. وهذه الحروب ـ كما يرى ابن الأثيرـ سلسلة من الردود الغربية على التوسع الإسلامي والتي بدأت بالهجمة على الأندلس وغزو طليطلة عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م [١]. وقد تتابعت الحملات الصليبية على المشرق المسلم بشكل متواصل حتى بدايات القرن السابع الهجرى.